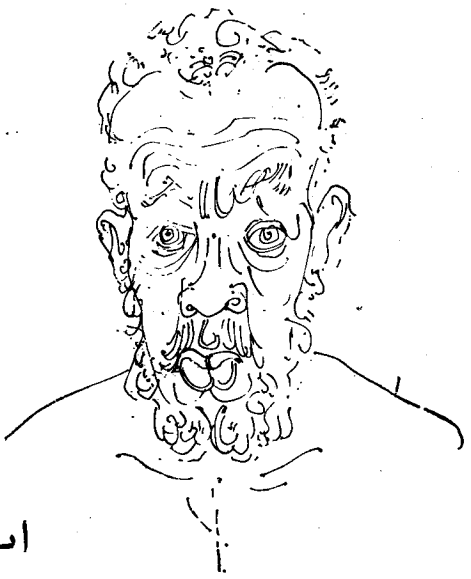

ابـــراهـــيم الصـــلحي ١

لا شك ان ابراهيم الصلحي ، الفنـــان السوداني ، هو من اكثر الفنانين الشرقيين المعاصرين نضجاً وفذوذية . بدأ دراساته الفنية الاولى في معهد سليد الفني في لندن . وعندما رجع الى السودان كانت قد توفرت لهدربة الفن الاوربي الاكاديمي ومناهجه جميعاً. لم يكن يختلف نتاجه آنئذ عن نتاج اي طالب موهوب يتخصص بالفنون الجميلة . مشاهد طبيعية سائغة وصور محكمة الاتقان . غير ان الفنان لم يكن قد « وجد » نفسه بعـد . وكان اكثر الناس علماً بهذه الظاهرة وبأن عليه ، مهما كلف الامر ، ان يتأصل من جديد في تراث بلاده . ولكن اي تراث نعني ؟ لم يكن في الخرطوم اي تقليـــد للحفر على الخشب كما هي الحال فى افريقيا الغربية ، ولم يكن فيها ايضـاً اي تقليد للرسم والتلوين . انعدام هذا التقليد يثبط همة الفنان . فحتى يومنا هذا لا نعثر في الخرطوم على اي متحف للتصوير ، كما ان المباني العامة لا تزال خالية من اية زينة فنية ذات قيمة .

من هنا كان على الفنان ان ينعكف على ذاته ، مما يشرح لنا صفة الحميمية والذاتية التي تهيمن على نتاج ابراهيم الصلحي . غير ان هذا الفنـــان كان كثير الحساسية بالنسبة لكل حافز خارجي يستطيع ان يستغله . فلم يعثر في بيئته الا على مظهرين فنيين يلعبان دوراً هاماً في الحيـــاة اليومية ، عنينا بهما الخط العربي والزخـارف التي تزين السلال والدبّاء وما اليها .

هذان المظهران الفنيان كانا منطلقا لتحريات الصلحي حول اشكال جديـدة لم يسبق لغيره ان تناولها . فاذا بنا نعثر ، في جميع نتاجه تقريباً ، على ايقاع الكتابة العربيـــة المتهادي. لقد بدأ محاولاته الفنية بنقل الكلمات العربية وآيات القرآن الكريم ، وذلـك بطريقة زخرفية فريدة. ثم ان الزخارف التي ترافق الحروف اصبحت صورا قائمة برأسها،

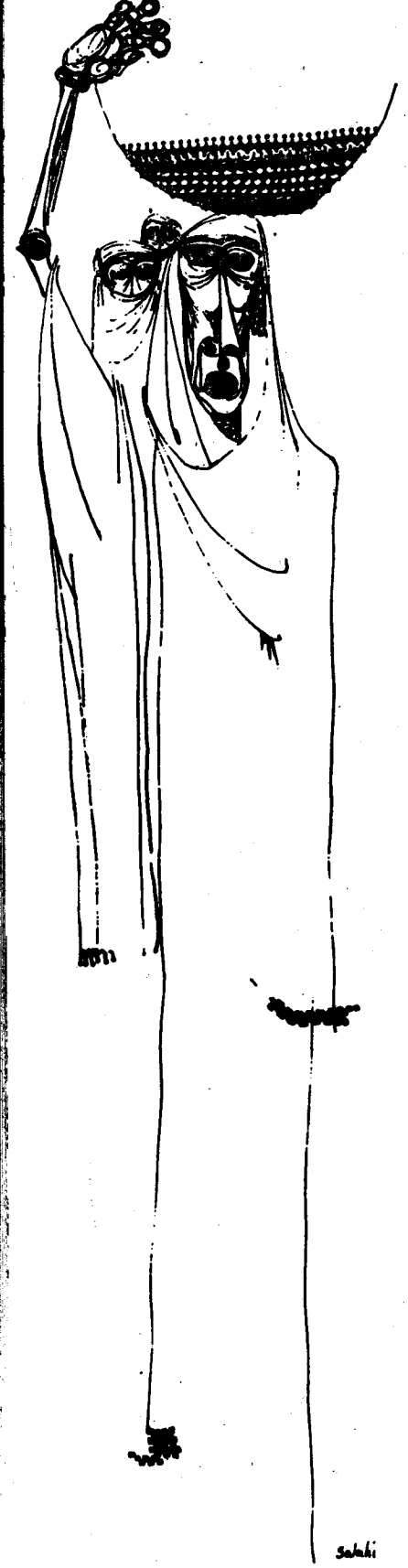

صورا تعبيرية تمثل الشكل البشري بعينيه المتفحصتين. حتى اننا لنلمح تعاريج الخط العربي من خلال الصور التشبيهية جميعاً.

اما اعتماد الزخرف التقليدي فاننا نلمحه في كثير من لوحات الصلحي. الا ان فناننا قد حوّر وبدّل في هذا الزخرف السوداني العهيد فجعله اكثر تعبيرا وشخصية. واذا بلوحاته تبدو وكأن لها ابعاداً مليئة بالحياة.

هنالك عامل اساسي يجب ان نشير اليه هنا في نتاج الصلحي: العناصر التقليدية التي يستخدمها هي جمالية جامدة. اما خطوط تصاويره فهي، على العكس، كثيرة الحساسية، تذهب وتأتي متوترة وناعمة، في حركة تعكس شخصية الفنان. ان لهذه الخطوط حياة وقدرة تعبيرية بعيدة كل البعد عن عناصرها التشبيهية الاساسية التي انما هي هيكل نتاجه الفني. غير ان ما يدهشنا هو ان هذه الجمالية المتكاملة التي تقارب التأنق تنطوي في خطوطها الرئيسية على عناصر داخلية ذات قدرة وتشويش. العنصر السحري القدير يتربص بنا وراء الخطوط المتهادية.

العيون، في لوحات الصلحي، تنظر الينا او تنظر من خلالنا. تبدو وكأنها تسألنا وتضرع الينا وتنذرنا. عيون تجعلنا في حالة انزعاج. لمن هي هذه العيون؟ اتراها للناس ام للارواح ام للآلهة ام للاقنعة؟ ليس من حدود فاصلة، في نتاج الصلحي، بين الطبيعي والفائق الطبيعة. فالاموات والاحياء والآلهة والبشر يختلطون بعض ببعض دونما ارهاق. من هنا الشعور بأن الكثير من لوحات الصلحي تشابه الرؤيا. عندما شاهدتها للمرة الاولى خيل اليّ ان وراءها اقنعة الشاطىء العاجي، وبخاصة اقنعة «سينوفو» المأتمية. وبعد امعان النظر فيها عرفت انها بنت وحدها. فن الصلحي ينبع من ذاته لا من الاشياء الموضوعية. مصدره احلام الفنان ونزوات روحه. وعندما ندخل في حميمية هذه اللوحات لا يعود بمقدورنا ان نتفلت منها طيلة العمر.

اولي بيير